الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي
مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة
الأغواط ـــ الجزائر

Direction delaRechercheScientifique
et duDéveloppementTechnologique
Centre de Recherche en sciences islamiques
Et civilisationLaghouat – Algérie

إفادة بنشر مقال علمي

يشهد السيد مدير مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط- الجزائر، أن السيد:

أ. نبيل ربيع (جامعة باتنة1)

قد نشر(ت) مقالا بعنوان:

نظرية النظم بين سندان الإعجاز القرآني ومطرقة البلاغة العربية

وهو مقال محكم بخبرة إيجابية، نشر في الكتاب الجماعي الذي يحمل عنوان: "سؤال الإعجاز بين الأصالة والتجديد" في طبعته الأولى، الصادرة عن مطبعة مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط - الجزائر

تحت رقم: ISBN : 978-9931-9445-6-0

إمضاء مسؤول الإشراف والتحرير :

د. مختار حسيني
أستاذ باحث بمركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة - الأغواط

مدير المركز:

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة

ملاحظة : سلّمت هذه الإفادة للمعني(ة)، لاستعمالها فيما يسمح به القانون.

العنوان : مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، مقابل المستشفى الجامعي الاغواط – الجزائر، ص.ب 4082 بريد المحطة
الهاتف والفاكس: 21329146190، البريد الالكتروني: dzcrsic@gmail.com، الموقع الرسمي www.crsic.dz

مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة الأغواط

سؤال الإعجاز بين الأصالة و التجديد

تحرير وإشراف
د.مختار حسيني

تقديم
أ.عباس بوطبل

تأليف
مجموعة من الباحثين

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط - الجزائر

سؤال الإعجاز

بين الأصالة والتجديد

إشراف و تحرير
د. مختار حسيني

تأليف :
مجموعة من الباحثين

تقديم
أ. عباس بوطبل

الطبعة الأولى

شعبان 1439ه / ماي 2018

مطبعة مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة بالأغواط – الجزائر

بسم الله الرحمن الرحيم

سؤال الإعجاز

بين الأصالة والتجديد

الطبعة الأولى

1439هـ – 2018 م

ISBN: 978-9931-9445-6-0

جميع الحقوق محفوظة

مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة

العنوان: مقابل المستشفى الجامعيّ الأغواط – الجزائر

هاتف / فاكس: 21329146190

البريد الإلكتروني: dzcrsic@gmail.com

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب الجماعي لا تعبر بالضرورة عن رأي مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة بالأغواط – الجزائر، و ان كانت في سياق اهتماماته المعرفية

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب الجماعي بأي وسيلة كانت؛ تقنية او تقليدية، من دون إذن من إدارة مركز البحث في العلوم الإسلامية و الحضارة بالأغواط – الجزائر

أعضاء اللجنة العلمية

د. مختار حسيني	م ب ع إ ح	د. إسماعيل زغودة	جامعة الشلف
أ. عبد القادر جعيد	م ب ع إ ح	د. منصور مهيدي	جامعة تيارت
أ. عباس بوطبل	م ب ع إ ح	أ. أحمد سعيد العرجاني	جامعة تيزي وزو
د. بشير بن لحبيب	م ب ع إ ح	أ. فريدة بن فضة	جامعة تيزي وزو
د. توفيق برغوثي	م ب ع إ ح	أ. حسين شنينة	م.ب.ع.ا.ح
د. بلخير عمراني	م.ب.ع.ا.ح .	أ. نور الدين بن نعيجة	م.ب.ع.ا.ح
أ.د. عبد العليم بوفاتح	جامعة الأغواط	د. كمال عطاء الله	جامعة الشلف
د. بن عيسى هامل	جامعة الأغواط	أ. العيد هازل	م.ب.ع.ا.ح
د. أم الخير شتاتحة	م ب ع إ ح	أ. أحمد بن الصغير	م.ب.ع.ا.ح
د. هارون الرشيد بن موسى	م ب ع إ ح	أ. جيلالي بن الطيب	م.ب.ع.ا.ح
د. أحمد شطة	م ب ع إ ح	أ. محمد بن عزوزي	م.ب.ع.ا.ح
د. سمية سعال	م ب ع إ ح	أ. الطيب لقديم	م.ب.ع.ا.ح
د. حمزة بوجمل	م ج آفلو	أ.عصام بوشربة	م.ب.ع.ا.ح
د. أبوبكر بوقرين	جامعة الأغواط	أ. السعيد جقيدل	م.ب.ع.ا.ح
د. عبد القادر بن زيان	جامعة الجلفة	أ. علي دني	م.ب.ع.ا.ح
د. محمد الحبيب منادي	م ج آفلو	أ. سليمان شلباك	م.ب.ع.ا.ح
د. بومدين عاجب	جامعة الأغواط	أ. عبد القادر بلغيث	م.ب.ع.ا.ح
د. محمد فايد	م ج تيسمسيلت	أ. سميرة مراح	م.ب.ع.ا.ح
د. توفيق جعمات	جامعة الأغواط	أ. فاطمة الزهراء سبع	م.ب.ع.ا.ح
د. خالد مرزق	جامعة عين الدفلى	أ. عامر مريقي	م.ب.ع.ا.ح
د.فضيلة بلعالم	م ج آفلو	أ. محمد خبيزي	م.ب.ع.ا.ح
د. الناصر جلالي	جامعة الأغواط	أ. محمد فاروق عاجب	م.ب.ع.ا.ح
أ. منور عواد	جامعة الجزائر 01	أ. مبارك شوادر	م.ب.ع.ا.ح

م.ب.ع.ا.ح: مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة الأغواط - الجزائر

فهرس الكتاب

كلمة المحرر	**5**
تقديم	**7**
المحور الاول	
الإعجاز في القرآن الكريم والسنة المطهرة (ورقات دراسية في المفهوم والمنهج)	**11**
أ.عبد القادر جعيد - مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة الأغواط- الجزائر	
ظاهرة الإعجاز القرآني من أرضية النشوء إلى أفق التنظير	**27**
أ. عصام بوشربة - مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة الأغواط- الجزائر	
تأريخ فكرة الإعجاز	**47**
أ.هازل العيد - مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة الأغواط- الجزائر	
أنماط الاشتغال بالإعجاز القرآني في المنظومة الفكرية التراثية	**85**
د. مختار حسيني - مركز البحث في العلوم الإسلاميّة والحضارة الأغواط ـ الجزائر	
نظرات السابقين في فكرة التحدي وتصورهم لسر الإعجاز	**119**
د.صوفي حليمة	
الإعجاز في بلاغة النظم القرآني عند الباقلاني(ت403هـ)	**147**
د. فتوح محمود - جامعة الشلف	
دراسة في قراءة محمود شاكر لمصطلحي الإعجاز والتّحدّي في الكتابات التّراثيّة	**175**
أ.ياسين يسعد - جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة – قسنطينة	
نظرية النظم(بين سندان الإعجاز القرآني ومطرقة البلاغة العربية)	**195**
أ.نبيل ربيع - جامعة باتنة-1-	

عنوان البحث:" الإعجاز البلاغي واستثماره في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني". 221

أ. بوزيد شتوح – أ.د مسعود صحراوي – جامعة عمار ثليجي – الأغواط

المحور الثاني: أسئلة الإعجاز القرآني في الكتابات الحديثة

المنهج القويم في بيان التفسير العلمي للقرآن الكريم - دراسة نقدية تحليلية - 257

د.عبد العـزيـز بن مُحَمَّد مدير مركز البصائر للبحوث المملكة المغربية

القواعد والضوابط الشرعية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة. 321

جلال الدين معيوف- موسى خويلد - جامعة عمار ثليجي – الأغواط

الاستدلال بالإعجاز العلمي على المقاصد الشرعية وتحقيق ما بينهما من الترابط 345

-الوقاية الصحية في سنن الفطرة أنموذجا-

د.قبلي بن هني - جامعة عمار ثليجي – الأغواط

الإعجاز النفسي في آيات قصة سيدنا موسى عليه السلام مع صاحب مدين وابنتيه – فوائد وحكم- 369

أ. ليلى شـبرو - جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

أسماء النبي محمد ﷺ في القرآن الكريم (دراسة دلالية) 393

د. شميسة خلوي/ جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله

إعجاز القرآن الكريم بالصَّرْفة (عرض ودراسة) 409

أ.عقبة بن نافع ناصري - جامعة عمار ثليجي الأغواط

مفهوم الوحي القرآني في الفكر الحداثي 433

أ. عباس بوطبل- أ. أحمد بن قسمية - مركز البحث في العلوم الإسلاميّة والحضارة الأغواط ـ

نظرية النظم
(بين سندان الإعجاز القرآني ومطرقة البلاغة العربية)

أ.نبيل ربيع
جامعة باتنة-1- الجزائر،

توطئة:

يزخر تاريخنا اللغوي بموروث لغوي ضخم، حاول من خلاله أصحابه أن يبعثوا الحياة في النحو، وأن يخلصوه من القيود والأغلال التي أثقلته وأجهدت متعلميه، فصار ينفر منه.

وأعني بتلك الأغلال كثرة التخريجات والتعسف بالنصوص والإفراط في وضع المصطلحات، وكثرة التعليلات النحوية، وأبرز مثال ونموذج عن ذلك الموروث اللغوي العربي (نظرية النظم) التي تحددت معالمها، وتأسست قواعدها على يد شيخ العربية الذي هو عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه الشهير: دلائل الإعجاز.

حيث تمكن من تأسيس نظرية لغوية قائمة على أساس الربط بين النحو والبلاغة،فاستطاع بنظره الثاقب وفكره الدقيق، أن يؤسس لعلم جديد. عرف فيما بعد ب:"نحو المعاني".

ونحاول هذهالورقة البحثية أن تميط اللثام عن حقيقة هذه النظرية، مع بيان الإرهاصات والبذور الأولى في تأسيس نظرية النظم،إنطلاقا من البلاغيين والنحاة قبل عبد القاهر لجرجاني، ثم انتهاء إليه، وذلك من خلال العناصر التالية:

-توطئة.

-أولا: مفهوم مصطلح النظم في التراث اللغوي العربي.

-ثانيا: جذور تطور مصطلح النظم في التراث اللغوي العربي.

-ثالثا: نظرية النظم عند الجرجاني.

رابعا:بلاغة النظم القرآني وسر إعجازه.

-خامسا:نموذج تطبيقي من القرآن الكريم.

-خاتمة: أبرز النتائج المتوصل إليها.

أولا: مفهوم مصطلح النظم في التراث اللغوي العربي.

أ-مفهوم النظم:

***لغة:**

جاء في صحاح العربية:"نظمت اللؤلؤ، أي جمعته في السلك والتنظيم مثله، ومنه نظمت الشعر ونظّمته، والنظام: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ...ويقال لثلاثة كواكب من الجوزاء: نظم"[1].

كما جاء في مختار الصحاح:"نظم: اللؤلؤ جمعه في السلك وبابه ضرب.ونظمه تنظيما مثله ومنه نظم الشعر ونظمه والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ. ونظم من لؤلؤ وهو في الأصل مصدر. والنظام الاتساق"[2].

[1] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1404ه-1984م، مادة (نظم).ص:2041.

[2] الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 1401ه، 1981، ص:686.

فما ذهبت إليه المعاجم العربية حول ضبط وتحديد مصطلح النظم، نجدها تتفق أغلبها على:الجمع والتأليف والضم والاتساق.

***اصطلاحا:**

يعرفه الجرجاني بقوله:"واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو. وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها. ونحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"[1].

وعلم النظم هو الذي يبرز الأسرار والنكت في أسلوب القرآن، ويكشف الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب، ويربط هذه الخصوصيات بالسياق والعرض العام الذي ورد النص الكريم بشأنه"[2].

أما الشريف الجرجاني فيعرفه بقوله:"تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني، متناسبة الدلالات، على ما يقتضيه العقل. وقيل: الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالتها على ما يقتضيه العقل"[3].

مما سبق بيانه في تحديج مفهوم النظم بشقيه اللغوي والاصطلاحي نخلص إلى أن النظم هو جمع الكلمات وضمها إلى بعضها البعض، وفق قالب لغوي يقتضيه المقام والسياق، يزيد القول حسنا وجمالا.

ثانيا:جذور مصطلح النظم في التراث اللغوي العربي:

لقد تردد مصطلح النظم كثيرا في كتب العلماء،تنوعت بين ناح وبلاغي ومفسر، وذلك قبل عبد القاهر الجرجاني بمئات السنين، لتتطور فيما بعد على يديه نظرية بلاغية قائمة على أصولها.

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1422ه، 2001م، ص:63

[2] محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، د م ن، ص:189.

[3] الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت -لبنان، ط1، 1403ه 1983م، ص:242.

وهذا ما سنتطرق إليه في هذا العنصر في تحديد الجذور التاريخية لمصطلح النظم ومراحل تطوره.

لم تظهر فكرة النظم إلا بعد نزول القرآن الكريم، وبعدما بدأ التأليف بحثا عن وجوه إعجاز القرآن[1]، والكشف عن أسرار نظمه وبديع تأليفه الذي أعجز فرسان اللغة وفطاحلها.

لقد تحدث سيبويه(ت180ه) عن مفهوم النظم مراعيا فيه أحوال النحو ومعتمدا فيه على نوع الدقة غي الإستعمال، حيث يذكر أن لكل استعمال معناه، وتغير الاستعمال لابدا أن ينشأ عن تغير المعنى، وهو في ذلك لا يبعد عن المراد من النظم في أدق ملامحه، وإن لم يسمه باسمه[2].

من هنا نجد أن سيبويه هو البذرة الأولى التي كانت سببا في ظهور وبروز مصطلح النظم في التراث العربي القديم.

ثم جاء بعده خطيب المعتزلة "الجاحظ" (ت255ه)، الذي بعدما تحدث عن الكلام على المفردة وعن الشعر، التفت للكلام عن القرآن، ربطه بالإعجاز وركز على الصرفة، إذ أفرد حديث مطولا بيّن فيه عجز العرب عن الإتيان بمثله، ثم فصّل في كلام عن الصرفة بأنها عرضت لقوم موسى وأيضا الشياطين، وهي وجه من وجوه الإعجاز فشلت العرب وأعرفت بالعجز، كما أقرت بمعجزة القرآن أنها في نظمه، وفي هذا الجانب وقف الجاحظ لنصرة القرآن مساهما في إيضاح مراميه مؤكدا إعجاز نظمه وروعته وجلاله"[3].

---

[1] صادق سالم أحمد الخازمي، النظم القرآني وأثره في الاحكام، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، ليبيا، ط1، 1985م، ص:26.

[2] ينظر: عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار النهضة، مصر، للطبع والنشر، القاهرة، 1975م، ص:375.

[3] الجاحظ، أبي عمور عثمان، البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، ج:1، ص:393.

وفي موسوعته الشهيرة:"البيان والتبيين" جاء فيه قوله:"خالف القرآن يمنع الكلام الموزون والمنثور، وهو المنثور غير المقفى على مخارج الأشعار والأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان وتأليفه من أكبر الحجج"[1].

إن من أوائل من تناول فكرة النظم هو ابن قتيبة (ت286ه)،جاء في مقدمة كتابه "تأويل مشكل القرآن":"الحمد لله الذي نهج لنا سبيل الرشاد، وهدانا بنور الكتاب... وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين..."[2] ؛ فسماه تأليفا ونظما.

ثم جاء بعده ابن جرير الطبري (ت310ه)، ووسمه بالتأليف[3]، الذي هو من معاني النظم في شقه اللغوي، قد سبق بيانه في التعريف اللغوي.

بينما يرى الخطابي (ت388ه) أن معيار إعجاز النص القرآني يكمن في اجتماع أمور ثلاثة أساسية، وهذا نصه:"واعلم أن القرآن وإنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني".

أما الباقلاني (ت403ه) فقد حصر ما يشتمل عليه بديع نظم القرآن المتضمن للإعجاز في وجوه هي[4]:

-منها ما يرجع إلى جملة، لكونه خارجا عن المألوف من كلام البشر في المعروف من تنظيم خطاباتهم، كما أنه لم يعهد للعرب كلام مشتمل على ما في القرآن من فصاحة ومعان في مثل طول القرآن.

---

[1] ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، المكتبة العلمية، ط3، 1401ه، 1981م،، ص:3. (تصرف بالحذف).

[2] الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار الفكر، 1408ه، 1988 م، ج:1، ص:166.

[3] ينظر:أحمد سيد عمار، نظرية الإعجاز القرآني وأثرها في النقد العربي القديم، دار الفكر، دمشق، 1998م، ص:131.

[4] ينظر:احمد جمال العمري، المباحث البلاغية في ضوء الإعجاز القرآني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990، ص:340.

-ومنها ما يرجع إلى أساليبه: فالقرآن في كل الأساليب البلاغية التي تنبني عليها أجناس الكلام البشري من إيجاز وإطناب وحقيقة ومجاز واستعارة وتصريح وغيرها كثير.

-منها ما يرجع غلى مفرداته، فمن ذلك أنه استعمل بعض المفردات في معان ومدلولات جديدة لم تكن معهودة في البيئة العربية قبيل الإسلام، ومن ذلك يعبر عن المفردات المستكرهة الثقيلة على السمع.

ما نسجله على كلام الباقلاني هو تلميحه لفكرة النظم. وهذا في قوله:"أن الإعجاز واقع في نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلامه، وإلى مثل هذا النظم وقع التحدي"[1].

كما جعل القاضي عياض (ت544ه) من وجوه إعجاز القرآن تفرد نظمه، حيث قال:"الوجه الثاني من إعجازه صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه.."[2].

ثم جاء بعده ابن عطية الأندلسي (ت546ه) فقد قال في تفسير قوله تعالى:{ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)**} [البقرة:23]،مفاده:"واختلف المتأولون على من يعود الضمير في قوله تعالى:{ **مِّثْلِهِ**}؛فقال جمهور العلماء: هو عائد على القرآن،ثم اختلفوا؛ فقال الأكثر: من مثل نظمه ورصفه وفصاحة معانيه التي يعرفونها،ولا يعجزهم إلا التأليف الذي خص به القرآن، وبه وقع الإعجاز على قول حذاق وأهل النظر"[1].

وهو بذلك اتبع ابن قتيبة في تسمية النظم بالتأليف.حيث صرح في مقدمة تفسيره:"...وكفار العرب لم يمكنهم قط أن ينكروا أن رصف القرآن ونظمه وفصاحته متلقّي من قبل محمد ﷺ،

---

[1] ينظر: احمد سيد عمار، المرجع السابق، ص:148.

[2] القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: محمد أمير قره وزميله، دار الوفاء، دمشق، ج:1، ص:511.

[1] ابن عطية الأندلسي، أبي محمد عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: المجلس العلمي بفاس، دط، 1399ه، 1979م، ج:1، ص:143-144.

فغذا تحديث إلى ذلك وعجزت فيه علم كل فصيح ضرورة أن هذا نبي يأتي بما ليس في قدرة البشر الإتيان به، إلا أن يخص الله تعالى من يشاء من عباده، وهذا هو القول الذي عليه الجمهور والحذاق، وهو الصحيح في نفسه؛ أن التحدي إنما وقع بنظمه، وفصاحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه"[1].

أما القرطبي(ت671ه) فقد عدّ من وجوه إعجاز القرآن الكريم:"النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها؛ لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وكذلك قال رب العزة الذي تولى نظمه:{ **وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (69)**} [يس:69]،..."[2].

ثم جاء بعده جلال الدين السيوطي (ت911ه) في مؤلفه الشهير"معترك الأقران-أن من وجوه إعجاز القرآن: - ما نصه:"حسن تاليفه، والتئام كلمة وفصاحتها، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن؛فجاء نطقه العجيب وأسلوبه الغريب مخالفا لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه، مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصل كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له..."[3].

ثم جاء بعده برهان الدين البقاعي(ت885ه)، الذي وسم تفسيره ب:"نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".وهو كتاب قيم من حيث تحليلاته البلاغية، فريد في عرضه لطائف بديع نظمهن وعجيب ألفاظه.

---

[1] ابن عطية الأندلسي، المصدر السابق، ج:1، ص:39.

[2] القرطبي، عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، الجمهورية العربية المتحدة،، وزارة الثقافة، دار الكاتب العربي للطباعة، القاهرة1387 ه، 1967م، ج:1، ص:73.

[3] السيوطي، جلال الدين، معترك الأقران في إعجاز القرآن، صححه: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ج:1، ص:23.

ثالثا: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني.

وأبرز من نظّر لنظرية النظم وعكف على بلورة فكرتها هو إمام العربية الشيخ عبد القاهر الجرجاني (ت474ه)، منتفعا بجهود وأراء سابقيه في هذا الضرب من ضروب البلاغة القرآنية، أمثال: سيبويه، الجاحظ،الخطابي، الباقلاني، القاضي عبد الجبار، الرماني، وغيرهم من أشعة الذين فتحوا المجال وأضاؤوا الطريق لمن جاء بعدهم.

والجرجاني نفسه يعترف بذلك ويقر بسبق طرق موضوع النظم قبله، حيث يؤكد ذلك في قوله:" وقد علمت إطباق العلماء عن تعظيم شأن النظم، وتفخيم قدره، والتنويه بذكره، إجماعهم أن الفضل من عدمه، ولا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له.ولو بلغ في غرابة معناه ما بلغ"[1].

وبعد هذا الترغيب في النظم ذهب الجرجاني إلى بيان مفهومه قائلا:"اعلم أن "النظم" إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه"علم النحو"، وتعمل على قوانينه واصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"[2].

إن عبد القاهر الجرجاني يعد مطورا لإنجازات البلاغيين الذين كانوا قبله بتقديمه نظرية لغوية متكاملة عرفت بنظرية "النظم" يقول محمد مندور:"فمنهج هذا المفكر العميق الدقيق هو منهج النقد اللغوي، منهج النحو، على أن نفهم من النحو انه العلم الذي يبحث في العلاقات التي تقيمها اللغة بين الأشياء"[1]. ومنهج عبد القاهر في النقد قائم على النحو والمعاني الذي مرده غلى النظم وطريقته[2].

---

[1] الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص:93.

[2] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:80.

[1] محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، دط، 1996م، ص:336.

[2] ينظر:المرجع نفسه، ص:337.

ويؤكد عبد القاهر أن صحة النظم أو فسادهن وتميّزه وفضله يرجع إلى معاني النحو وأحكامه، ويدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه[1].ولا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجردة من معاني النحو. بل لابد من نظمها وإجراء قانون النحو فيها لتظهر المعاني المرادة من خلال ذلك[2].

وقد ربط عبد القاهر الإعجاز بالنظم، فميدان النظم بذلك المفهوم ميدان فسيح واسع، ودقيق غائر، والعقل يتقبل بالرضا والارتياح أن يفضل بعض الكلام بعضا في ميدان النظم، وأن يتقدم منه الشيءُ الشيءَ،ثم يزداد من فضله ذلك، ويرتقي منزلة فوق منزلة، ويعلو مرقبا بعد مرقب، ويستأنف له غاية بعد غاية؛ حتى ينتهي إلى حيث تنقطع الأطماع، وتحسر الظنون، وتسقط القوى، وتستوي الأقدام في العجز[3].

وأهم مرتكزات نظريته تجلى في:

-توخي معاني النحو:

يرى الجرجاني أنه من عوامل مراعاة النحو؛ عامل التقديم والتأخير ويقول في ذلك:"هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن واسع التصرف جيد العناية لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة ولا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وحول اللفظ عن مكانه إلى مكان"[4].

-قضية اللفظ والمعنى:

لقد أعاد الجرجاني النظر في قضية اللفظ والمعنى وثار ضد الفصل بينهما، وأكد على ثنائية اللفظ والمعنى؛ فهو يرى أن العبرة في مدلول العبارات لا في العبارات نفسها، وعليه فالمعاني تتزايد وإنما التزايد معلق بالألفاظ والربط بين اللفظ والمعنى لا يكون إلا عن طريق معاني النحو

[1] ينظر:الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:83

[2] المصدر السابق، ص:410.

[3] درويش الجندي، نظرية عبد القاهر في النظم، مكتبة نهضة، مصر، القاهرة، 1409ه، ص:111-112.

[4] ينظر:الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص:76-77.

واحترام قواعده، إن نظم الكلم هي التي تقتضي آثار الألفاظ وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس[1].

فالألفاظ لا توجب الإعجاز بفردها،لأنها ليست مستحدثة على العرب.بل الإعجاز يكمن في النظم الذي يراعي المزاوجة بين فصاحة اللفظ وقوة المعنى.

وبذلك نجد الجرجاني قد رفض رفضا كليا للمقولتين اللتين شاعتا في مباحث البلاغيين والنقاد وهما مقولتا اللفظ والمعنى، وخلص إلى أن الصورة الفنية لنتاج الأدبي تكمن في صياغته ونظمهن أي أن الألفاظ لا يمكن أن تتفاضل فيما بينها قبل أن توضع في قالبها اللغوي.

ثم بعد الجرجاني جاء الزمخشري الذي هو الآخر استمد فهمه من الجرجاني، وكما هو المعلوم قديما أن اللاحق متمم لما بدأ السابق، حيث راح الزمخشري ينظر إلى مفردات الآية الكريمة بمنظار من يدقق في العلاقات الرابطة بينها وبين الغرض العام من سياقها، وقد وفق في هذا السبيل في كثير من وقفاته البلاغية، وتحليلاته البيانية، وأخذ كثير من المفسرين والبلاغيين عنه، واستعاروا بعض جمله وعباراته[2].

ومن المعاصرين كثير من تناول قضية النظم، تنوعت وميادين تخصصهم بين ناح ومفسر وبلاغي، أمثال ابن عاشور وعبد الكريم الخطيب، وسيد قطب، وغيرهم .

رابعا: بلاغة النظم القرآني وسر إعجازه

فالإعجاز ظاهرة قرآنية خصبة، زاد الإهتمام به و الإقبال عليه، لإرتباطه بالنص القرآني. ليتناوله المفسرون بعد ذلك من خلال بيان معانيه وشرح ألفاظه، أين تبلورت فكرة الإعجاز وتدرجت على يد أهل البلاغة واللغة ليأخذ بعدا جديد وهو الدراسات البيانية والبلاغية للنص القرآني، ولإجابة عن سؤال: بماذا كان القرآن معجزا؟ وأين يكمن موطن إعجازه؟.

[1] ينظر:صالح بلعيد، نظرية النظم، ص:139.

[2] محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، دار الفكر العربي، ص:188.

أ- تعريف الإعجاز لغة:

أصل هذه الكلمة هي:"العجز:وهو مؤخرة الشيء، والعجز الضعف،وأعجزه الشيء أي فاته، والتعجيز التثبيط"[1].

ومعنى الإعجاز؛ الفوت والسبق، يقال:أعجزني فلان؛ أي فاتني[2].

ب-: تعريف الإعجاز اصطلاحا:

يعرفه عبد القاهر الجرجاني بقوله:"الإعجاز يعني علم الناس أن الذي سمعوه فائت للقوى البشرية ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين"[3].كما نستنتج أنها كانت عفلية لهدف هو الخلود، وأنها مما لا يدركه إلا الراسخون في العلم، كل بحسب اختصاصه[4].

حيث أشار الجرجاني إلى التعريف اللغوي للإعجاز الذي يعني الفوت والسبق وبه كان القرآن معجزا،وحكمة كون القرآن معجزة عقلية هو دوامها واستمرارها وثباتها،ويدركها العلماء والمختصون، فليس لعامة الناس قدرة في فهم وإدراك المعنى المعجز .

أما سعيد رمضان البوطي فيعرفه بقوله:"الإعجاز عند الجمهور هو أن القرآن قد سما في علوه إلى شأو بعيد؛ بحيث يعجز الطوق البشري عن الإتيان بمثله سواء في ذلك بيانه وبلاغته وفصاحته أو تشريعه وتنظيمه أو إخباره عن غيب المستقبل أو الماضي السحيق"[1].

---

[1] الجوهري، أبي نصر بن حماد:تاج اللغة وصحاح العربية، تح,أحمد عبد الغفورن دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط3، 1404ه-1984، ج3، ص:883-884.

[2] ابن منظور:لسان العرب، تح,عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت-لبنان، دط، دت، ج4، ص:2817، مادة عجز

[3] الجرجاني، عبد القاهر: الرسالة الشافية(ثلاث رسائل في إعجاز)تح,محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول، ط3، دار المعرف، مصر، ص:117.

[4] أحمد رحماني:نظريات الإعجاز القرآني، ط1مكتبة وهبةن1418ه-1998م، القاهرة، ص:10

[1] محمد سعيد رمضان البوطي:من روائع القرآن-تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، دط، مؤسسة الرسالةن بيروت، 1420ه-1999، ص:125.

ج-:النظم القرآني بين البلاغة وسر إعجازه.

لقد بذل عماء البلاغة والتفسير جهودا كبيرة للكشف وإبراز القيم الجمالية لص القرآني،ثم البحث عن المزية البديعة ضمن سؤال الإعجاز، كيف يكون النص القرآني متفوقا على النص البشري، بمقاييسه البلاغية نفسها، باعتبار نزوله حسب تقاليد العرب في الفصاحة والبيان"[1].

فتبنى جماعة من البلاغيين القول بأن الإعجاز في القرآن يكمن في ألفاظه ومقاطعه الصوتية، وأن القرآن معجز بنظمه، فكان أول من وضع اصطلاح النظم هو الجاحظ كما قال شوقي ضيف وعلل به الإعجاز القرآن[2].

يقول محمد بركات حمدي:" ولم يكتف بعض الباحثين في دراسة الإعجاز القرآني بهذا القدر الذي يوجب الإهتمام بعلوم البلاغة ومعرفتها ؛ وذلك لفهم كتاب الله والوقوف على أسرار الإعجاز فيه، وإنما ذهبوا إلى أبعد من ذلك فجعلوا دراسة علوم البلاغة من مستلزمات عقيدة المسلم"[3]بل استدل بعضهم على إثبات وحدانية تبارك وتعالى بالإعجاز الفرآني من خلال قوله تعالى:{أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين(13) فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما انزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون(14)} [هود].

يقول الباقلاني عن هذه الآية:"أن الله تبارك وتعالى جعل عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن دليل على أن مصدره رباني دال على وحدانيته تبارك وتعالى[4].

فالحديث عن الإعجاز القرآني إستنادا للنظم يقودنا إلى الإقرار بأن الذي أعجز العرب هو مزايا ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادئ آية ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام وتذكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان. وبهرهم انهم

---

[1] محمد العمري:البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:28.

[2] شوقي ضيف:البلاغة تطور وتاريخ، مصر، دار المعارف، ط8، 1990، ص:161.

[3] محمد بركات حمدي:معالم المنهج البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، الأردن، دار الفكر، ط1، 1405ه-1984، ص:88

[4] أبو بكر الباقلاني:إعجاز القرآن، تح,أحمد صقر، مصر، ص:23 بتصرف.

تأملوه سورةً سورةً وعُشرًا عُشراً وآيةً آيةً فلم يجدوا في الجميع كلمةً ينُبوا بها مكانها ولفظةً يُنكرُ شأنها أو يُرى أن غيرها أصلحُ هناك أو أشبهُ أو أحرى وأخلق،بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور ونظاما والتئاما وإتقانا وحكاما"[1].

كما أن نظرية النظم تحوي مجموعة من القواعد اللغوية التي لها علاقة بالمعنى، مثل قاعدة (الجملةالإسمية تدل على الثبات) وقاعدة (الجملة الفعلية تدل على التجدد والحركة) كل ذلك يوحي إلى دلالة معينة.

خامسا: نموذج تطبيقي من القرآن الكريم.

لقد تفنن البلاغيون في عرض تحليلاتهم البلاغية لنصوص القرآن الكريم، وأبرزهم ابن أبي الأصبع المصري في مؤلفه الشهير:"بديع القرآن" الذي عرض فيه كثير من الألوان البلاغية حول الأي الذكر الحكيم، في ثنايا كتابه تحت باب(وهو أن تكون كل لفظة من لفظ الكلام على انفرادها متضمنة بديعا أو بديعين بحسب قوة الكلام. وما يعطيه معناه، بحيث يأتي في البيت الواحد والجملة الواحدة عدة ضروب من البديع. ولا تخلو لفظة من بديع .فما زاد عليه).

أورد مثالا من القرآن الكريم مزدانا بالبلاغة والحسنات البديعية، فاقت أساليب العرب وقوالبهم الفنية التي عرفوها قبل نزول القرآن الكريم، فكانت هذه الآية التي نحن بصدد عرضها وسرد تحليل ابن الأصبع لها كتحدي لهم، وهو قوله تبارك وتعالى:{ **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (44)**} [هود:44].

فقد نفي صاحب "بديع القرآن" وجود مثلها قائلا:"وما رأيت ولا رويت في الكلام المنثور والشعر الموزون كآية من كتاب الله استخرجت منها أحدا وعشرين ضربا من البديع، وعددها سبع عشرة لفظة"[1]. وتفصيله فيها كالأتي بيانه[2]:

[1] الجرجاني:دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص:49.

-**المناسبة التامة:** في لفظتي ابلعي-أقلعي،أي أناه سبحانه وتعالى خاطب الأرض والسماء لما هو من شانهما وإختصاصهما.

-**المطابقة اللفظية:** وذلك في ذكر السماء والأرض.

-**الاستعارة:** في قوله تعالى:(يا أرض...يا سماء) مخاطبا لها على سبيل الاستعارة. للتنبيه المذكور. ونوع الاستعارة هنا مكنية حيث ذكر المشبه وحذف المشبه به، والذي هو مأمور يعقل الخطاب، موصوف بأنه لا يتاتى من العصيان كالملائكة.

-**المجاز:** يا سماء فإن الحقيقة: يا مطر السماء أقلعي.

-**الإشارة:** غيض الماء، فإنه سبحانه وتعالى عبر بهاتين اللفظتين عن معان كثيرة: لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض ما يخرج من عيون الماء فينقص الحاصل على وجه الأرض من الماء.

-**الإرداف:** (واستوت على الجودي) استقرار السفينة على هذا المكان وجلوسها جلوسا لا زيغ فيه ولاميل، لطمأنينة أهل السفينة بلفظ قريب من لفظ الحقيقة.

-**التمثيل:** في قوله تعالى:{ وَقُضِيَ الأَمْر}، حيث عرض هلاك الهالكين، ونجاة الناجين بلفظ فيه بعد لفظ الحقيقة.

-**التعليل:**عبر عن غيض الماء بالاستواء.

-**صحة التقسيم:** حيث استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه؛ إذ ليس إلا احتباس ماء السماء واحتباس الماء الذي ينبع من الأرض.

---

[1] ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1957م، ص:340.

[2] المصدر نفسه، ص:340-343 (بتصرف).

-**الاحتراس:**في قوله تعالى:{ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}، محترسا من توهم من يتوهم أن الهلاك ربما عمّ من لا يستحق الهلاك؛ لذلك جاء سبحانه وتعالى بدعاء على الهالكين، ليعلم أنهم مستحقو الهلاك.

-**الانفصال:** فإن لقائل أن يقول:إن لفظة القوم مستغنى عنها، فإنه لو قيل:(وقيل بعداً للظالمين) لتم الكلام، والانفصال عن ذلك أن يقال لما سبق في صدر الكلام قبل الآية قوله تعالى:{ **وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ**} [هود:38]، وقال سبحانه عن ذلك مخاطبا لنوح عليه السلام:{ **وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (37)**} [هود:37]،فاقتضت البلاغة أن يؤتى بلفظة القوم التي ألة التعريف فيها للعهد ليتبيّن أنهم القوم الذين تقدم ذكرهم في قوله تعالى: { **وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ**} [هود:38]، ووصفهم بالظلم، كما أخبر أيضا على أنهم هالكون فحصل الانفصال عن الإشكال، وعلم أن لفظة القوم ليست فضلة في الكلام.

-**المساواة:** فلفظ الآية لا يزيد عنه، كما أنه لا ينقص منه.

-**حسن النسق:** عطف القضايا بعضها على بعض بأحسن ترتيب حسبما وقعت أولا فأولا،فإنه سبحانه أمر الأرض بالابتلاع، ثم عطف على ذلك أمر السماء بالإقلاع، ثم عطف غيض الماء على ذلك، ثم عطف على ذلك قضاء الأمر بهلاك الهالكين ونجاة الناجين، ثم عطف على ذلك استواء السفينة على الجودي، ثم عطف على ذلك دعاء على الهالكين.فجاء ترتيب وقوعها في الوجود.

-**ائتلاف اللفظ مع المعنى:** وذلك بتناسب كل لفظة مع قالبها والسياق العام.

-**الإيجاز:**انتهاج أسلوب الإيجاز والاختصار في عملية انتقاء وتخير الألفاظ.

-**التسهيم:** مراعاة البداية والنهاية في عرض الآية.

-**التهذيب:** حوت الآية حسن انتقاء الألفاظ الفصيحة والعبارات البليغة.

-**حسن البيان:**تميّز ألفاظ الآية بالوضوح والبيان، والبعد عن كل ما هو غامض وملبس.

-**التمكين:** توضع الألفاظ وتمكّنها في مكانها المعروضة فيه.

-**الإنسجام:** تدرج الكلام سهولة ألفاظه وعذوبته وجودة سبكه مع جزالة اللفظ .

-**الإبداع:**وهو سبب تسمية الباب الذي تحدث فيه ابن أبي الأصبع المصري في ثنايا مؤلفه الشهير:"بديع القرآن" الذي أورد فيه هذه الآية.

ليختتم ابن أبي الأصبع المصري كلامه بقوله:"فانظر رحمك الله إلى عظمة هذا الكلام، وما انطوى عليه نظمه، وما تضمنه لفظه لتقدره قدره. وهذا ما ظهر لي من ضعف نظري وقلة مادتي من العلوم وكلال ذهني، والله أعلم"[1].

وبهذا يتجلى لنا كيف تفنن المهرة البلاغيين في استجلاء معالم البلاغة في هذه الآية، أمثال ابن أبي الأصبع المصري، وغيره كثير ممن حلل وفصّل وعمّق نظره وفكره في البلاغة القرآنية.

الخاتمة:

على ضوء ما تقدم من رصد المسار التاريخي لمصطلح النظم القرآني في التراث البلاغي العربي، يمكن أن نسجل النتائج التالية:

1-أن البحث البلاغي قد تجددت مباحثه على يد عبد القاهر الجرجاني.

2-تأثر الموروث البلاغي العربي بالتراث الأجنبي، خاصة كتابي أرسطو (فن الشعر) و(فن الخطابة).

3-اهتمام العرب بالبحث البلاغي .

4-بلورة الدرس البلاغي في البيئة الاعتزالية، انطلاقا من خطيب المعتزلة (الجاحظ) وتأسيسه لنظرية البيان، وصولا إلى الزمخشري (قطب المعتزلة) في كشافه.

5-تطور النظرية البلاغية "نظرية النظم" على خطيب السنة (عبد القاهر الجرجاني).

[1] ابن أبي الأصبع المصري، بديع القرآن، ص:340-343

الإعجاز البلاغي واستثماره في نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني".

أ. بوزيد شتوح - أ/د. مسعود صحراوي
جامعة الأغواط - الجزائر

مدخل نظري: تجليات فكرة إعجاز القرآن الكريم:

لم يستعمل القرآن الكريم ولا السنة النبوية المطهرة مصطلح الإعجاز أو المعجزة، وإنما نجد أن القرآن قد استعمل جملة من المصطلحات التي تنصب في بوتقة إعطاء الدلائل والبراهين الراسخة للرسل عليهم الصلاة والسلام لمحاجة أقوامهم ومن هذه المصطلحات المستعملة في هذا السياق مصطلح "الآية" كما في قوله تعالى:"**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ**"{الأنعام:09}، فسياق هذه الكريمة متعلق بالدلائل التي تثبت صدق رسول الله – ﷺ – في نبوته والتي ترتبط بقسم المشركين المعاندين "بالله أشد أيمانهم تأكيدا ومنتهى جهدهم ووسعهم مبالغة فيها، لئن جاءتهم آية من الآيات الكونية التي اقترحوها أو مطلقا ليؤمنن بها أنها من عند الله للدلالة على صدق رسولهﷺ- فيكون إيمانهم بها إيمانا به أو ليؤمنن بما دعاهم إليه بسببها"[1].كما استعمل القرآن الكريم مصطلح "البينة" وذلك في قوله تعالى:"**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ**

1/ محمد رشيد الحسيني، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، تط1990، ج7، ص559.

وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ"{يونس:57}،فالآية الكريمة موجه خطابها لجميع الناس وذلك "بالتعريف بشأن القرآن وهديه، بعد أن كان الكلام في جدال المشركين والاحتجاج عليهم بإعجاز القرآن على أنه من عند الله وأن الآتي به صادق فيما جاء به من تهديدهم وتخويفهم من عاقبة تكذيب الأمم رسلها، وما ذيل به ذلك من الوعيد وتحقيق ما توعدوا به"[1].بالإضافة إلى أنه استعمل مصطلح "سلطان" كما في قوله تعالى:"**قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**" {إبراهيم:10}، ففي الآية الكريمة طالب الأقوام رسلهم أن يأتوا "بحجة محسوسة تثبت أن الله اختارهم للرسالة عنه، وحسبانهم بذلك التعجيز"[2]. ومن هنا نجد أن هذه المصطلحات (الآية، البينة،سلطان) استعملها القرآن الكريم في سياق التحدي والحجاج بغية إثبات رسالة الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم إلى توحيد الله عز وجل.

1/ مراحل تحدي القرآن الكريم العرب:

لا شك أن القرآن الكريم ببلاغته وفصاحته أبهر أئمة البيان، مما استحق بذلك أن يحتل مرتبة شريفة لا تضاهيها مرتبة أخرى في كلام العرب لأنهم كانوا "قد بالغوا لعهد القرآن مبلغهم من تهذيب اللغة ومن كمال الفطرة، ومن دقة الحس البياني، حتى أوشكوا أن يصيروا في هذا المعنى قبيلاً واحداً باجتماعهم على بلاغة الكلمة وفصاحة المنطق... فجاء القرآن الكريم أفصح كلام وأبلغَه لفظاً وأسلوباً ومعنى، ليجد السبيل إلى امتلاك الوحدة العربية التي كانت معقودة بالألسنة"[3] فتحداهم لكونهم أهلا لذلك إثباتا جازما بصدق رسالة النبي – ﷺ - بأن يأتوا بمثله، وكان هذا التحدي على سبيل التدرّج، ففي البداية أمرهم بأن يأتوا بمثله كاملا وذلك في قوله تعالى:" **قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**" { الإسراء:88}،ففي هذه الآية الكريمة "تنويه بشرف الْقُرْآنَ فَكَانَ هَذَا التَّنْوِيهُ امْتِنَانًا عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَهُمُ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ شِفَاء وَرَحْمَة، وَتَحَدِّيًا بِالْعَجْزِ عَلَى الْإِتْيَانِ

---

[1]/ ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر – تونس، دط، تط1984م، ج11، ص200.

[2]/ نفسه، ج13، ص.200

4/ الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، درا الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط8، تط 1425ه/2005م، ص 116، 115.

بِمِثْلِهِ"[1]. فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله وذلك في قوله تعالى:" **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**" {هود/13}فكان قد أمرهم بأن يأتوا بعشر سور من جنسه أي"أنه لا فرق بينكم وبينه في الفصاحة والبلاغة، وأنتم الأعداء حقا، الحريصون بغاية ما يمكنكم على إبطال دعوته، فإن كنتم صادقين، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات"[2]. ثم بلغ درجة أدنى في التحدي من ذلك وهي أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى:"**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**"{يونس:38}.و قوله تعالى:"**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**"{البقرة:23}، فكان عجزهم جليا بأنهم لن يستطيعوا الإتيان بكلام يضاهي هذه المرتبة من البلاغة والفصاحة وجودة السبك وبراعة التأليف.

2/ تعريف المعجزة:

قبل الخوض في تعريف المعجزة لغة واصطلاحا وجب التنويه بتبلور هذا المصطلح، والذي كانت بداية في ظل العصر العباسي مع محمد بن يزيد الواسطي (ت306) الذي ألف كتابا في هذا المجال تحت عنوان "الإعجاز"وهذا ما أثبته "الرافعي" في قوله: "فإن أول من جوَّد الكلام في هذا المذهب وصنف فيه، أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفى سنة 306 هـ، ثم أبو عيسى الرمّاني المتوفى سنة 382 هـ"[3] ثم كتب أبو سليمان حمد بن محمد المعروف بالخطابي (ت388ه) وذلك في كتابه "بيان إعجاز القرآن"،ثم تبعه أبو بكر القاضي الباقلاني (ت403) في كتابه "إعجاز القرآن" وهو أول كتبه نشراً وأشهرها ذكراً، وأعظم كتاب ألف في إعجاز القرآن إلى يومنا هذا كما يقول السيد أحمد صقر في مقدمة نشرته للكتاب.

---

[1]/ التحرير والتنوير، ج15، ص202.

[2]/ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط1، تط1420ه/2000م، ص378.

[3]/ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص100

المعجزة: لغة واصطلاحا:

أ/ لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور مفهوم الإعجاز والمعجزة انطلاقا من مادة (ع ج ز) وذلك في قوله: "العَجْزُ: نَقِيضُ الحَزْم، عَجَز عَنِ الأَمر يَعْجِزُ وعَجَزَ عَجْزاً فيهِما، وَرَجُلٌ عَجِزٌ وعَجُزٌ: عاجِزٌ. وامرأة عاجِزَةٌ: عَنِ الشَّيْءِ، عَنِ ابْنِ الأَعرابي. وعَجَّز فلانٌ رَأْيَ فُلَانٍ إِذا نَسَبَهُ إِلى خِلَافِ الحَزْم كأَنه نَسَبَهُ إِلى العَجْز. وَيُقَالُ: أَعْجَزْتُ فُلَانًا إِذا أَلفيتَه عاجِزاً. والمَعْجِزَةُ والمَعْجَزَة: العَجْزُ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: هُوَ المَعْجِزُ والمَعْجَزُ، الْكَسْرُ عَلَى النَّادِرِ وَالْفَتْحُ عَلَى الْقِيَاسِ لأَنه مَصْدَرٌ"[1] وقوله:"وَمَعْنَى الإعجاز الفَوْتُ والسَّبْقُ، يُقَالُ: أَعْجَزَنِي فُلَانٌ أَي فَاتَنِي"[2]وقوله مبينا بأن المعجزة"وَاحِدَةُ مُعْجِزات الأَنبياء، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ"[3]،ومن خلال هذا يتبين مفهوم المعجزة والإعجاز من جانبه اللغوي، واللذان يتمحوران حول معاني العجز والفوت والسبق ومناقضة الحزم وكذا تعلق معنى المعجزة بأنها مفرد لمعجزات الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

ب/ اصطلاحا:

تحدث "الرماني" عن إعجاز القرآن الكريم وذلك في سياق كلامه عن طبقات البلاغة العربية، حيث بيّن من خلال ذلك بأن بلاغة القرآن الكريم تجسد درجة المعجز وذلك في قوله: "وَاحِدَةُ مُعْجِزات الأَنبياء، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ القلب في أحسن صورة من اللفظ. فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن, وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة"[4].وذكر الخطابي تعريف معجزة القرآن الكريم وذلك في سياق حديثه عن علة إعجاز القرآن الكريم وبلوغه في أعلى مراتب البيان والبلاغة مما دل ذلك على صدق النبي – ﷺ - وذلك في قوله:"وليس ينظر في المعجزة إلى عظم حجم ما يأتي به النبي ولا إلى فخامة منظره , وإنما تعتبر صحتها بأَن تكون أمرًا خارجًا عن مجاري

---

[1]/ ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت- لبنان، ط3، تط1414ه/ 1994م، ج5، ص369.

[2]/ نفسه، ج5، ص370.

[3]/ نفسه، ج5، ص.370

[6]/ الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط3، تط1438ه/1976م، ص 75، 76.

العادات ناقضًا لها ,فهما كانت بهذا الوصف كانت آية دالة على صدق من جاءَ بها"[1].فمعجزة القرآن الكريم في نظره تكمن في أنه بديع النظم خارج عما جرت به عادة العرب في كلامهم.

وقد ربط "الباقلاني" (المتوفى سنة 403ه) المعجزة بصدق رسالة النبي – ﷺ – وحجته الخالدة مستدلا ذلك من قوله تعالى:"**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**"{إبراهيم:01} فبيّن من خلال هذه الآية الكريمة أن الله تعالى أنزل القرآن الكريم "ليقع الاهتداء به، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة، ولا يكون حجة إن لم يكن معجزة"[2].وكذا قوله تعالى:"**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**"{التوبة:06}،فذكر من خلال هذه الآية الكريمة أنه"لولا أن سماعه إياه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه. ولا يكون حجة إلا وهو معجزة"[3].ومن هنا يتبين أن المعجزة عند "الباقلاني" تثبت صدق رسول الله – ﷺ – في نبوته والقرآن الكريم هو الحجة الخالدة في ذلك.

كما عرفها الإمام السيوطي (المتوفى 911) بقوله: "اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة"[4]من خلال هذا التعريف يتبين أن المعجزة مرتبطة بثلاث خصائص وهي: أن تكون خارقة للعادة، وأن تكون مقرونة بالتحدي وهذا ما جاء في القرآن الكريم بأن تحدى العرب بأن يأتوا بمثله لكونهم أهلا للبلاغة وأئمة للبيان، وأن تكون سالمة عن المعارضة أي لا يصدها تعارض لتكون بذلك حجة دامغة أمام كل من يتحداها.

وبيّن بأنها تنقسم إلى قسمين: حسية وعقلية، والمعجزات الحسية كانت موجهة لبني إسرائيل كمعجزات سيدنا موسى – عليه السلام – والعقلية موجهة للعرب وذلك في قوله:"وهي إما

---

[1]/ الخطابي، بيان إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، دار المعارف، مصر، ط3، تط1438ه/1976م، ص23.

[2]/ الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، تط 1419ه/1997م، ص09.

[3]/ نفسه، ص09.

[4]/ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، ت ط1394ه/1974، ج4، ص03.

حسية وإما عقلية وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم"[1] والقرآن الكريم جمع بين النوعين فهو معجزة حسية من خلال إثباته لكثير من القضايا التي تتعلق بمظاهر الكون من جهة مثل قوله تعالى:"**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**"{الأنبياء:30} فالرتق هو الاتصال والتلاصق بين أجزاء الشيء، والفتق هو الانفصال والتباعد بين الأجزاء.أي أن السماوات والأرض كانتا جسما واحدا ملتئما ثم فتقهما الله تعالى فحدث "انشقاق الأرض بماء المطر وانبثاق النبات والشجر منها بعد جفافها، وكل ذلك مشاهد مرئي دال على تصرف الخالق"[2]، وقد فسر " عبد الله ابن عباس" هذه الآية الكريمة وكان تفسيره مطابقا لما أثبتته الدراسات العلمية الحديثة، وذلك في قوله:" جَحَدُوا بِمُحَمد عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام وَالْقُرْآن {أَنَّ السَّمَاوَات وَالْأَرْض كَانَتَا رَتْقاً} لم تنزل مِنْهَا قَطْرَة من مطر وَلم ينْبت على الأَرْض شَيْء من النَّبَات ملتصقاً بَعْضهَا على بعض {فَفَتَقْنَاهُمَا} ففرقناهما وأبنا بعضهما عَن بعض بالمطر والنبات {وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}"[3] وهذا ما بيّنه العلم الفلكي الحديث وذلك " أن الأرض كانت في بداية خلقها ملتهبة لا تنبت، والغلاف الجوي لم يكن قد تشكل أي لا توجد أمطار، ثم تشكل الغلاف الجوي للأرض وتشكلت الغيوم وبدأت السماء تمطر، وبدأت الأرض تنبت بعد أن تبردت وتشكلت الجبال والأنهار والبحار"[4]. وبهذا فالآية الكريمة تتضمن معجزة حسية تتعلق بالكون ذكرها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا وطابقت نتائج ما توصل إليه العلم الحديث فصارت الآية الكريمة مشتملة على "عبرة تعم كل الناس وكل عبرة خاصة بأهل النظر والعلم فتكون من معجزات القرآن العلمية "[1]. وعقلية من جهة أخرى من خلال براعة نظمه وبديع سبكه مما أعجز العرب الفصحاء في يأتوا بمثله.

---

[1]/ الإتقان في علوم القرآن، ج4، ص03.

[2]/ التحرير والتنوير، ج17، ص54.

[3]/ ابن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، دط، دت، ص 270.

[4]/ يُنظر: موقع عبد الدائم كحيل: *www.kaheel7.com*

[1]/ التحرير والتنوير، ج17، ص56.

3/ أوجه إعجاز القرآن الكريم:

تعدّدت الأوجه عند العلماء في إثبات أن القرآن الكريم معجز ويمكن التركيز في هذا الصدد على "الخطابي والباقلاني" فيما يلي:

أ/ عند الخطابي: بيّن "الخطابي " وجوها متعددة في إعجاز القرآن الكريم وناقشها من خلال مؤلَّفه "بيان إعجاز القرآن الكريم" ومنها أن من أوجه إعجازه هو ما يتضمنه من إخبار عن الغيبيات في المستقبل نحو قوله تعالى:"**الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ**"{الروم:1-3}،ثم استدرك هذا الوجه بأنه لا يمكن أن يؤخذ على العموم لأنه ليس واقعا في كل سور القرآن الكريم وذلك في قوله:"ولا يشك في أَن هذا وما أَشبهه من أَخباره نوع من أَنواع إعجازه , ولكنه ليس بالأَمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن"[1].لأنّ الله تعالى قد جعل صفة الإعجاز في كل سورة بعينها ولا يقدر أحد من الخلق أن يأتي بمثلها.

ثم ذكر وجها آخر في إعجازه وهو الغالب عند العلماء ألا وهو بلاغته وجودة نظمه ودقة نضده،وقد ردّ على أصحاب هذا الوجه بأنهم لا يحيطون علما به من خلال أنهم لم يضبطوا بلاغته بدقة وذلك في قوله: "ووجدت عامة أَهل هذه المقالة قد جروا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد وضرب من غلبة الظن دون التحقيق له وإحاطة العلم به , ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختص بها القرآن , الفائقة في وصفها سائر البلاغات , وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة , قالوا إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأَمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام , وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضربًا من المعرفة لا يمكن تحديده , وأحالوا على سائر أجناس الكلام الذي يقع منه التفاضل فتقع في نفوس العلماءِ به عند سماعه معرفة ذلك , ويتميز في أَفهامهم قبيل الفاضل من المفضول منه"[1].

---

[1]/ بيان إعجاز القرآن الكريم، ص23.

[1]/ نفسه، ص24.

ذلك أنه أرجع العامل في حصول هذا الوجه الإعجازي للقرآن الكريم من خلال أنه جامع لكل أجناس الخطاب بنسب متفاوتة ومتباينة في درجات البلاغة وهذا التفاوت والتكامل المتناهي في الدقة بين كل أجناس الخطاب لم تبلغ أئمة البيان في تحقيقه على الرغم من فصاحتها وبلاغتها كقوله: "وقد استقرينا أوصافه الخارجة عنه , وأسبابه النابتة منه , فلم نجد شيئًا منها يثبت على النظر , أو يستقيم في القياس , ويطَّرد على المعايير , فوجب أَن يكون ذلك المعنى مطلوبًا من ذاته , ومستقصىً من جهة نفسه: فدل النظر وشاهد العِبر على أَن السبب له , والعلة فيه أَن أَجناس الكلام مختلفة , ومراتبها في نسبة التبيان متفاوتة , ودرجاتها في البلاغة متابينة غير متساوية؛ فمنها البليغ الرصين الجزل , ومنها الفصيح القريب السهل؛ ومنها الجائز الطلق الرَّسْلُ. وهذه أَقسام الكلام الفاضل المحمود دون النوع الهجين المذموم , الذي لا يوجد في القرآن شيء منه أَلبتة"[1].

وهذا ما دعا إلى تأليفه للكتّاب من خلال أن القرآن الكريم معجز ببلاغته من خلال أنه جامع ومتكامل بين كل طبقات الكلام "فَالقسم الأول أَعلى طبقات الكلام وأَرفعه , والقسم الثاني أَوسطه وأَقصده , والقسم الثالث أدناه وأَقربه؛ فحازت بلاغاتُ القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصةً , وأَخذت من كل نوع من أنواع شعبة , فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة , وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين لأن العذوبة نتاج السهولة. والجزالة والمتانة تعالجان نوعًا من الوعورة , فكان اجتماع الأمرين في نظمه مع نبوّ كل واحد منهما على الآخر فضيلة خص بها القرآن , يسرها الله بلطيف قدرته من أمره ليكون آية بينة لنبيه , ودلالة له على صحة ما دعا إليه من أمر دينه"[2]. ثم ربط كل هذه الأقسام والطبقات الخطابية بعمود البلاغة وهو وضع كل كلمة ومفردة مناسبة ومطابقة لسياق الكلام دون غيرها من المرادفات لها في قوله:" ثم اعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به , الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام

[1]/ نفسه، ص26.

[2]/ بيان إعجاز القرآن الكريم، ص26.

وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة , ذلك أن في الكلام ألفاظًا متقاربة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة , والحمد والشكر..."[1]

ومثال ذلك قوله تعالى: " **فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**"{يوسف:17}. حيث بيّن من خلال هذه الآية الكريمة بلاغة الكلمة داخل نظمها ومناسبتها لمقام الخطاب وذلك في كلمة **"أكله"** دون غيرها من المرادفات (افترسه) حيث رأى أن"الافتراس معناه في فعل السبع القتل فحسب , وأصل الفرس دق العنق , والقوم إنما ادعوا على الذئب أنه أكله أكلاً وأتى على جميع أجزائه وأعضائه , فلم يترك مفصلاً ولا عظماً , وذلك أنهم خافوا مطالبة أبيهم إياه بأثر باق منه يشهد بصحة ما ذكروه , فادعوا فيه الأكل ليزيلوا عن أنفسهم المطالبة , والفرس لا يعطي تمام هذا المعنى , لم يصح على هذا أن يعبر عنه إلا بالأكل، على أن لفظ الأكل شائع الاستعمال في الذئب وغيره من السباع"[2].

ب/ عند الباقلاني: ذكر "الباقلاني" مجموعة من الأوجه الدالة على إعجاز القرآن الكريم، وذلك بعدما أثبت أن "الصِّرفة " من وجوه إعجازه وذلك في قوله:"يعتمد بعض أهل العلم في أن القرآن معجز من جهة صرف الهمم عن معارضته وذلك خارج عن العادة كخروج سائر المعجزات التي دلت على النبوة. وهذا عندنا أحد وجوه الإعجاز التي تظهر منها للعقول"[3]. وذلك أن العرب لما عجزوا أمام بلاغته وبراعة بيانه انصرفت هممهم عنه. ثم بيّن بأن أوجه الإعجاز ثلاثة:

1/ ما يتضمنه القرآن من الإخبار عن الغيوب، وذلك مما يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه.ومثال ذلك قوله تعالى:"**الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**"{الروم:1-3}،فالآية الكريمة تتضمن "الوعد بأنهم سيغلبون بعد ذلك الانهزام في أمد

[1]/ نفسه، ص29.

[2]/ نفسه، ص41.

[3]/ إعجاز القرآن، ص12.

غير طويل تحد به القرآن المشركين، ودليل على أن الله قدر لهم الغلب على الفرس تقديرا خارقا للعادة معجزة لنبيئه ﷺ وكرامة للمسلمين"[1].

2/ أن القرآن الكريم"أتى بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمات السير من حين خلق الله آدم إلى مبعثه، مع أنه كان أمياً لا يكتب ولا يحسن أن يقرأ، ولم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم"[2].ومثال ذلك الإخبار بالأمم البائدة في قوله تعالى:"**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (5) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (6)**"{الحاقة:4-6}.ففي هذه الآيات إخبار وتذكير "بما حل بثمود وعاد لتكذيبهم بالبعث والجزاء تعريضا بالمشركين من أهل مكة بتهديدهم أن يحق عليهم مثل ما حل بثمود وعاد"[3].

3/ وهو "أنه بديع النظم عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه"[4]ومثال ذلك قوله تعال:"**وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**"{هود:44}.ويمكن تحليل الإعجاز البلاغي لهذه الآية فيما يلي:

أ/ إنّ الإعجاز في هذه الآية الكريمة راجع أساسا إلى ارتباط هذه الكَلِم بعضها ببعض لما في هذا النسيج البياني من حسن وشرف وبيان راقٍ.

ب/ إنّ الغرض من التعبير بالفعل المبني للمجهول(قيل) يتمثل في عظمة الله - عز وجل - وجلاله وقدرته،"بحيث أنه متى قيل قيل لم ينصرف العقل إلا إليه ولم يتوجه الفكر إلا إلى أن

[1]/ التحرير والتنوير، ج21، ص44.

[2]/ إعجاز القرآن، ص69.

[3]/ التحرير والتنوير، ج29، ص115.

[4]/ إعجاز القرآن، ص69.